JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES AND THOUGHT FOR SPECIALIZED RESEARCH (JISTSR) | VOL: 09 ISSUE :02 | April 2023

مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية | المجلد 09 العدد 02

نيسان/ أبريل 2023

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

الأسس النفسية والضوابط الأخلاقية لفاعل الخير

(نظرة قرآنية)

Psychological foundations and moral controls for the philanthropist

(a Quranic view)

ذ. البشير قصري

Lbachir Kassri

باحث في الفكر الإسلامي المعاصر ومقاصد الشريعة

KLbachir10@yahoo.fr

1444 هـ / 2023 م

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

Received | 09 | 02 | 2023 – Accepted 19 | 03 | 2022 – Available online 15 | 04 | 2023

Abstract

The researchers dealt with many aspects related to charitable work in terms of its controls and principles, its purposes and means, but an important aspect did not obtain the due study, which is related to the actor of goodness, especially its psychological motives and moral controls ،This is what I am trying to approach in light of the Quranic guidance, targeting two things :

The first: devising a Quranic framework that would be the nucleus for charitable projects and volunteer initiatives for individuals and institutions .

The second: Contributing to reducing the scourge of selfishness and the phenomenon of refraining from positive engagement in charitable projects, and rationalizing the behavior of those working in this sector.

Keywords: psychological foundations - controls - ethics - philanthropist - Quran

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

الملخص

تناول الباحثون جوانب كثيرة تتعلق بالعمل الخيري من حيث ضوابطُه ومبادئه، مقاصده ووسائله، بيد أن جانبا مُهِما لم ينل ما يستحق من الدراسة، وهو ما يرتبط بفاعل الخير، وخاصة دوافعه النفسية وضوابطه الأخلاقية، وهو ما أحاول مقاربته على ضوء التوجيه القرآني، مستهدفا أمرين:

الأول: استنباط إطار قرآني من شأنه أن يكون نواة للمشاريع الخيرية والمبادرات التطوعية للأفراد والمؤسسات.

الثاني: الإسهام في الحد من آفة الأنانية وظاهرة العزوف عن الانخراط الإيجابي في مشاريع الخير، وترشيد سلوك المشتغلين في هذا القطاع.

وقد اعتمدت لذلك منهجا يقوم على المزاوجة بين الاستقراء والاستنباط لآيات القرآن الكريم خاصة، وخلصت إلى أن النهوض بالعمل الخيري وتوسيع نطاق الاستفادة منه يتطلب أولا وقبل كل شيء الاهتمام بالجانب النفسي والسمات الأخلاقية للإنسان تعليما وتربية، وهو ما يؤمن سبيل الارتقاء من الإغاثية إلى الاستثمار والتنمية.

الكلمات المفتاحية: الأسس النفسية– الضوابط– الأخلاق– فاعل الخير– القرآن

المقدمة

للعمل الخيري أركان، أبرزها فاعل الخير (أو العامل في القطاع الخيري)، والمفعول له (أو المستفيد)، والخير المقدَّم، وقد تناول الباحثون والمهتمون جوانب كثيرة تتعلق بالعمل المقدم (العمل الخيري)، ضوابطه ومبادئه، أنواعه وتاريخه، مقاصده ووسائله، إلى غير ذلك بيد أن جانبا مهما أُغفِل –إلى حد ما- وهو ما يرتبط بفاعل الخير، من حيث مقاصدُه، مؤهلاته المعرفية والتقنية، دوافعه النفسية والأخلاقية، وهو ما سأحاول مقاربته في هذا الموضوع على ضوء التوجيه القرآني، باعتبار القرآن وهو كلام الله عز جل العليم بمكنونات النفوس، الهادي للتي هي أقوم، الدال على المصالح، الناهي عن المفاسد، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اَللَّطِيفُ اُلْخَبِيرُ﴾ (الملك: 15)، فهو العالم بمن خلق، وبما خلق فيه، وبما أحاطه من أشياء، فهو أعلم بما يصلحه وما يفسده، وبما ينفعه وما يضره، وبما يمتعه وما يؤلمه، وبما هو خير له من كل ذلك، وبما هو له شر، لأن علمه سبحانه محيط بكل شيء، ولن ترقى المدارك الإنسانية إلى هذا المقدار من الشمول، في الزمان والمكان والأشخاص، فحري بالإنسان أن يقف موقف الاستسلام لحدود الخير والشر التي حدها الله له، ولا يمنعه ذلك من أن يتابع بحثه وتأملاته في دقائق الأمور، وأسرار الحِكم الربانية، سنجد إذن بدون شك في القرآن ضالتنا: مُثلا أخلاقية رفيعة، وقيما روحية جليلة، وآثارا إنسانية عظيمة كانت محيطة مؤطرة موجهة لمن ينهض للعمل الخيري.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

وأهدف من خلال هذا البحث ثلاثة أمور أساسية:

- أولا: استنباط إطار قرآني من شأنه أن يضبط العلاقة بين رؤوس مثلث الخير والتراحم والبر والمعروف الإنساني، وخاصة بين طرفي هذا الفعل المتعدي، يعني كيف ينظر الإنسان إلى أخيه الإنسان؟ وكيف يتعامل معه؟ بأية أخلاق؟ لأية مصلحة؟
- ثانيا: الإسهام في الحد من آفة الأنانية وظاهرة العزوف عن المبادرة للانخراط الإيجابي في مشاريع الخير، وكذا ترشيد سلوك المشتغلين في هذا القطاع والمهتمين به حتى يتجنبوا السقوط في مهاوي الاسترزاق، ولا يتم ما نريد إلا بالاستناد على الدوافع النفسية المحركة والمنشطة لنوازع الخير، والضوابط السلوكية الأخلاقية في بناء وتصريف أعمال البر والتطوع.
- ثالثا: توجيه الإنسانية إلى هذا المِعين في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها العالم، أزمات وكوارث أعجزت الدول والحكومات، وباتت مهدِّدة للحياة البشرية في كل لحظة، وأمل الإنسان في أمنٍ بعد اضطراب، واطمئنان بعد ارتياب، ورحمة واحتضان وسكينة بعد طول اغتراب.

إذن سيكون مرجعنا الأول كتاب الله استقراء واستنباطا، ثم كتب التفسير والفقه، والتجارب الإنسانية عبر التاريخ، إضافة إلى بعض ما كُتب وخُطَّ في هذا الباب، وَفْق الخطة التالية:

بعد المقدمة مبحث أول خصصته لبيان حقيقة المفاهيم الأساسية المستعمَلة، يليه مبحث ثان جعلته في الأسس النفسية، والثالث تطرقت فيه للضوابط الأخلاقية والواجبات التراحمية، ثم خلاصات واستنتاجات. والله الموفق وهو المستعان.

المبحث الأول: مفاهيم ودلالات

ترجع معظم المفاهيم والمصطلحات المستعمَلة في بناء هذا البحث إلى ثلاث كلمات: الأخلاق، النفس، والخير، فبناء جل المعاني والمضامين يستند إلى هذه الثلاثية، أو ضمائمها، أو مشتقاتها، أو مرادفاتها، أو أضدادها، لذلك سأكتفي بتعريف وبيان حقيقة دلالات كل لفظة من تلكم الألفاظ الثلاثة.

المطلب الأول: حقيقة الأخلاق:

الأخلاق هي جمع خُلق وهو السجية، والخُلُق والخُلْق هو الدين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، أي نفسها وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها (الفيومي، 1431. لسان العرب، 1414)، واصطلاحا هي: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خُلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمِّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلُقا سيئا" (الجرجاني، 1983) ، وبناء على هذا التعريف فالخلق أقوال وأفعال صادرة عن حال نفسي مقيم، بمعنى أنه ليس بخلق ما يأتي من الأعمال على تكلف، أو على سبيل النذور، أو تظاهرا، أو اقتصار على العلم به ومعرفته والإحاطة بحقيقته دون التحقق به.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

وعلم الأخلاق يبحث عن معنى الخير والشر، وما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدوا إليها في أعمالهم، ويدل على السبيل المفضي إليها (أمين أحمد، 2007). ولا ينبغي أن نفهم أن الغرض من علم الأخلاق مقصور على معرفة النظريات والقواعد، بل من أغراضه أيضا التأثير في إرادتنا وهدايتها، وحملنا على أن نشكل حياتنا، ونحصل خيرنا وكمالنا وخير الناس ومنفعتهم، فهو يشجع الإرادة على عمل الخير، قال أرسطو: "فيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن نعرف ما هي، بل يلزم زيادة على ذلك رياضتنا على حيازتها واستعمالها أو إيجاد وسيلة أخرى لتصيِّرنا فضلاء وأخيارا"(أمين أحمد، 2007). وبهذا المعنى يكون لعلم الأخلاق علاقات اتفاق واختلاف مع جملة من العلوم الأخرى، من قبيل علم النفس وعلم الجمال والقانون وعلم الاجتماع (أمين أحمد، 2007)، وكذلك الفقه والعقيدة (مصطفى بن حمزة، 2019)، وعلم الاجتماع، وغيرها كثير.

ويميز العلماء والدارسون بين الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة، كما يميز بعضهم بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، وكذا بين الأخلاق الفلسفية والأخلاق الدينية، وبين أخلاق الذات وأفعال الإرادة، وهناك من ميز بين الغريزية منها والمكتسبة (دراز، 2014) وذلك من وجوه عدة، أبرزها: اعتبار المصدر والأثر وكيفية التحصيل والتخلق والتحقق وإمكانيته (يعني تربية الخلق)، ويميز الدكتور محمد عابد الجابري بين الأخلاق والأدب والسجايا والصفات، ويقدر جهود العز بن عبد السلام سلطان العلماء حيث تفطن إلى أبرز قيمة أخلاقية في القرآن، وهي: خلق «العمل

الصالح» أو «أخلاق المصلحة»، يقول: "ومن هنا أهمية العز بن عبد السلام، لقد تحرر من الانغلاق الفقهي والكلامي ومن إغراءات الأسلمة (أسلمة الآداب الفارسي واليوناني والهرمسي)، لقد تجاوز ذلك كله ورجع إلى الأصل: إلى القرآن، وقرأ "الذين ءامنوا وعملوا الصالحات" ككل لا يتجزأ، ففهم الدين على أنه إيمان وعمل صالح" (الجابري، 2016) ، يعنينا هنا الإشارة إلى أن هناك علاقة بين القرآن والأحكام والأخلاق والمصلحة، إضافة إلى حاجة العقل الأخلاقي إلى الحرية شرط الإبداع.

المطلب الثاني: النفس البشرية في القرآن الكريم وحقيقتها

يرتبط فهم النفس البشرية بالإياب إلى خالقها الباري سبحانه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اَللَّطِيفُ اُلْخَبِيرُ﴾ (الملك: 15)، لذلك ننظر لموارد الكلمة في القرآن الكريم للوقوف على معناها وحقيقتها، ومختلف توظيفاتها. وقد وردت كلمة النفس في القرآن الكريم ثلاثمائة وست مرات (306)، وهذا يدل على عظيم أمرها، إذ هي المسؤولة أمام الله تعالى يوم القيامة، لوقوع الحساب والجزاء عليها، كما أنها مناط الفلاح الإنساني في الدنيا والآخرة.

يُطلق لفظ النفس في نصوص القرآن على عدة معان (ماهر أحمد، 2007)، منها:

- المعنى الأول: الذات الإنسانية، أي الإنسان ذاته، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اَلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ اَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعىٰ﴾ (طه: 14) ، وقوله عز وجل: ﴿أَتَامُرُونَ اَلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ اَلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 43)، وقوله أيضا: ﴿يَوْمَ تَاتِے كُلُّ نَفْس تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفّيٰ كُلُّ نَفْس مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل: 111).

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

- المعنى الثاني: نفس الحياة، والتي هي جزء من الذات الإنسانية، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالتِے لَمْ تَمُتْ فِے مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلتِے قَضَيٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرِيٰٓ إِلَيٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّيًّ اِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:39). وقوله أيضا: ﴿وَمَآ أُبَرِّۓُ نَفْسِيَ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِالسُّوٓءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّے غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (يوسف:53)، وفي سورة الشمس قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٖ وَمَا سَوَّيٰهَا﴾ (الشمس:7)، فالنفس بهذا المعنى سر الحياة في الجسم، وتتصل بكل خلاياه، وتغادر الجسم عند الموتة الكبرى[1].
- المعنى الثالث: بمعنى القلب (إسلام ويب، 2021)، من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا اَلِانسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ اِ۬لْوَرِيدِ﴾ (ق:16)، قال البغوي: "نعلم ما يحدّث به قلبه، ولا يخفى علينا سرائره وضمائره". ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٞ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ اِنْ يَّتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَي ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَيٰٓ﴾ (النجم: 32).

وقد تأتي لفظة "النفس" أيضا لتدل على الشعور وتغلغل الأفكار، وحديث الذات، سكينة الروح واستقرارها، أو تفيد أداة ضبط الذات، الإرادة الواعية ومادة الخُلق، وغيرها ذلك[2].

[1] – جدير بالذكر أن أشير هنا إلى أن النفس ليست هي الروح، فبينهما فروق كثيرة، منها: النفس قد تكون أمارة بالسوء، أما الروح فهي خير مطلق، النفس تتعرض للمرض أما الروح فلا، النفس لا تغادر الجسم قط إلا عند الموت الأكبر، أما الروح فتغادره عند النوم، النفس سر حياة الجسم أما الروح فهي سر بشرية الإنسان وسر خلوده.

[2] – اكتفيت هنا بما يناسب الموضوع من الدلالات القرآنية، وأترك لمن شاء العودة إلى آراء الفلاسفة، وتعريفات أهل اللغة، وتحديدات علماء النفس والأطباء النفسيون. وأيضا في الحديث النبوي دلالات أوسع.

المطلب الثالث: دلالات كلمة الخير

تتعدد وجوه دلالات لفظة «الخير» تبعا لتعدد سياقات توظيفها، ومن هذه الوجوه ما ذكره عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، حيث حصرها في ثلاثة (حبنكة، عبد الرحمن حسن، 2014):

- الوجه الأول: يطلق الخير على ما يرى فيه الإنسان لنفسه نعمة أو منفعة أو لذة، فهو يحبه لذلك، وقد يكون في حقيقة حاله شرا أو سوءا، أو سببا لوقوع الشر أو السوء به، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 214).

ويُستعمل في مرادف كلمة الخير على هذا الوجه كلمة: نعمة، أو منفعة، أو مصلحة، أو لذة، أو نحو ذلك، وأضدادها: سوء، ضر، أذى، مصيبة، أدنى.

- الوجه الثاني: حيث تُطلق لفظة «خير» أيضا على أنها أفعل تفضيل بمعنى أخيَر، ويُرادفها بهذا المعنى كلمة أفضل أو نحوها، وقد يُستعمل في مقابلها بهذا المعنى كلمة أدنى أو نحوها. وهناك استعمالات قرآنية كثيرة لهذا اللفظ على هذا الوجه، منها قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: 60).
- الوجه الثالث: وهو الوجه المقصود في أسس الحضارة الإسلامية، حين يُطلق «الخير» ويُراد به ما يكسبه الإنسان بإرادته في الحياة الدنيا من عمل قلبي أو نفسي أو جسدي يُحقق له عند الله خيرا باقيا، وسعادة خالدة، وثوابا حسنا، ولو كان ذلك العمل شاقا ومضنيا ومؤلما، أو فيه تعرض للضر والأذى، ويرادف الخير بهذا المعنى الطاعة لله.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

وبناء عليه يدخل في مفهوم الخير ما يلي:

- كل عمل يحقق رضوان الله وثوابه.
- كل عمل يكون وسيلة للترقي في مراتب أحد الكمالات التاليات (التالية): الكمال الفكري، الكمال الخلقي، الكمال السلوكي، الكمال الإبداعي، كمال التعايش الجماعي.
- كل عمل يكون وسيلة لتحقيق ما يلي: اللذات التي لا ضرر فيها ولا عدوان على حدود الله، والمنافع التي لا مضار فيها مساوية لها أو راجحة عليها، المصالح التي لا مفاسد فيها مساوية لها أو راجحة عليها (حبنكة، 2014).

ولو رمنا ترجمتها إلى ما يتعلق بالأحكام الشرعية لقلنا الخير هو القيام بالواجبات وفعل المستحبات والمباحات إذا سلمت من المحظور.

ولا يخفى الارتباط الكبير بين هذه المفاهيم الثلاثة (الأخلاق، النفس، الخير)، فالنفس المهذبة أو المزكاة أخلاقيا هي التي يصدر منها الخير، لذلك قالوا كما -أسلفنا- الأخلاق هي هيئة راسخة في النفس تأتي منها الأفعال بيسر وسهولة من غير فكر وروية، فإن كان ما يصدر منها أفعالا محمودة فهي أخلاق حسنة، وإلا فهي أخلاق سيئة. وللخير أسرة مفهومية واسعة وممتدة تضم فيما تضم: الإحسان، البر، الرحمة، التطوع، التنفل، التبرع، الصدقة، الإيثار (بوهبوه مصطفى، 2022).

المطلب الرابع: ماذا أقصد بمثلث الخير؟

أقصد بمثلث الخير الأركان الثلاثة الأساسية للعمل الخيري، وهي: العاملون، والعمل الخيري، والمستفيدون، وفيما يلي تعريف مختصر لكل واحد منها:

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

- العمل الخيري: هو كل عمل يستهدف نفع الناس، ويكون بالمال، أو الجهد، أو الوقت، أو الفكر، وليس له غايات ربحية، وقد يسمى أحيانا القطاع الخيري، أو القطاع الثالث، أو القطاع غير الربحي[3].
- العاملون: كل من يعمل في القطاع الخيري من الجنسين، وإن تفاوتت مراكزهم وأجورهم وطبيعة أعمالهم، ويتساوى في ذلك الموظف والمتطوع (لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، 2018).
- المستفيد: وهو الإنسان عموما، "فكل إنسان قد يتعرض لتقلبات الزمن فيحتاج إلى التكافل أو الإغاثة في وقت ما أو تحت ظرف ما"(السرجاني، راغب ، 2020)، وكذلك يمكن أن يكون الإنسان في غنى مادي، ولكن هو في حاجة إلى دعم نفسي، واندماج اجتماعي، وغير ذلك، وذا ليس محصورا في توجه ديني، أو عرقي، أو قومي معين. وقد حاول الدكتور راغب السرجاني تحديد المحتاجين المستحقين للتكافل والإغاثة في الأمة فخلص إلى أنهم نوعان (السرجاني، راغب ، 2020):

✓ النوع الأول: مستحقو الزكاة وهم المذكورون في آية سورة التوبة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِے اِلرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِے سَبِيلِ اِللَّهِ وَابْنِ اِلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً

[3] – عرَّفه الشيخ يوسف القرضاوي بقوله: "والمراد بالعمل الخيري النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره، من غير أن يأخذ عليه مقابلا ماديا، لكن ليحقق هدفا خاصا له أكبر من المقابل المادي، قد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء والشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة، رجاء الثواب عند الله، والدخول في جنات النعيم، فضلا عما يناله في الحياة من بركة وحياة طيبة، وسكينة نفسية، وسعادة روحية لا تقدر بثمن عند أهلها" انظر: كتابه الموسوم ب: أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 2008م، ص21، نقلا عن بوهبوه مصطفى، العمل التطوعي من منظور إسلامي، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، الطبعة الأولى: 2022م، تقديم الجيلالي سبيع، ص15.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:60)، ويلاحظ أنهم يمثلون كل نواحي الضعف والعجز في المجتمع.

- ✓ النوع الثاني: وهم مستحقو التكافل من غير مصارف الزكاة الثمانية، ويندرج تحته الأقارب، والجار، اليتيم، أصحاب العاهات، المنحرفون، المطلقات والأرامل ثم الشيوخ والعجزة.

انظر إلى سعة وشمولية التكافل والتطوع والعمل الخيري في النظرة الإسلامية حيث عمت كل المأزومين والمنكوبين والمحتاجين، وليس هناك ما يمنع من إضافة أنواع أخرى إذا ثبت اضطرارهم وحاجتهم.

المبحث الثاني: الأسس النفسية لفاعل الخير

نقف في القرآن الكريم على الكثير من الآيات التي تدل على أن انخراط الإنسان في الأعمال واندماجه في الجماعات رهين طبيعة النفس التي يحمل بين جنبيه، وهي متعلق النية، فتتحرك على مستواها الرغائب والبواعث، وتتبلور الحوافز، وتستقيم الفهوم والتصورات، ونتمكن من صناعة المشاعر والتمثلات المؤلفة للقلوب، والموحدة للجهود، ولا يحيد عن هذه القاعدة العمل الخيري، ولن يتحلى العمل بصفة الخيرية في الحال والاستقبال إلا إن صدر من فاعل يتدفق مشاعر محبة ورحمة ورأفة بأخيه الإنسان، وكل واحد منا مرشح أن يكون ذاك، إن عمِل على بناء نفسه وتربيتها على أسس إسلامية قرآنية صلبة، لأنه "في علم النفس الإسلامي هناك سمات معينة للإنسان المؤمن، فهو تركيب نفسي مختلف، وأخلاقيات مختلفة" (سعاد جبر سعيد، 2008) أذكر بعضها فيما يلي:

الأساس الأول: توحيد المطلوب وتحرير الوجدان

حصر القرآن حياة الإنسان والجان في العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ 56﴾ (الذاريات:56)، والعبادة ليست هي الشعائر وحدها كما يظن البعض، وإنما هي الاتجاه نحو وجهة واحدة، في العقيدة والشريعة

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

والسلوك، هي الحركة حول محور واحد، منه ينطلق الإنسان المؤمن في حركته، ومنه يتزود لهذه الحركة، وإليه يعود، على مستوى الحياة الفردية، وعلى مستوى الحياة الجماعية، أي أن يكون الله عز وجل منطلق الإرادة، وحادي المسارعة، وقبلة الرجاء.

فلا يتصور إذن قيام إنسان وثباته على فعل متعدٍّ نفعه لغيره، فيتحمل تبعاته، ويصبر على مشاقه، إن لم يوحد المطلوب، ويجعل قلبه خاضعا لله وحده، ويطرد الشركاء المتشاكسون، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَٰنِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 28)، يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: مثَّل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتَّى، ويطيع جماعة من الشياطين, والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد, يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه، ورجلا مسلما لرجل، يقول: ورجلا خُلُوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية (الطبري، 2001).

فثمرة التوحيد أنه "يجمع عناصر نفسه، ويوحد اتجاه مشاعره نحو مصدر واحد للتلقي، فهو لا يخاف إلا واحدا، ولا يطمع إلا في واحد، ولا يتقي إلا واحدا، ولا يتقرب إلا لواحد، فيؤدي هذا التوحيد إلى أثر تركيبي في الشخصية، فلا تتوزع مشاعره، ولا تنقسم نفسه، ولا تتشتت همته"(سعاد جبر سعيد، 2008).

ولا يخفى ما لهذا الأساس من ثمرة على نفسية فاعل الخير والمستفيد منه، حيث يتم تحرير الوجدان، فلا يحس طرف بالاستعلاء أو بالحقارة إزاء الآخر، فيتحصل بذلك إعلاء لنفسيتيهما، ورعاية لكرامتهما أن تُهان، فالأول يتقرب بعمله إلى سيده ومولاه الذي هو الله عز وجل، فهو لا يرضى أن يُذل نفسه بالتزلف بعمله إلى إنسان، أو يحقرها بأن يأتي بأعمال إرضاء لهوى نفسه تفاخرا ورياء وسمعة، فهو سواء شعر أم لم يشعر بفعله ذا قد جعل من المتصدَّق عليه،

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

أو من ينظر ويسمع قيمةً فوق قيمته لما كلف نفسه عملا لأجلهم، ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ 96 تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: 96-98).

وأما الثاني وهو المستفيد فقد أعلى الله شأنه، ووقى نفسه من الذل والهوان إذ أشعره أنه يأخذ مال الله، وحق الله فلا مَن ولا أذى، وهكذا يكون المعطي أعطى لله، والآخذ أخذ مال الله، والحمد لله.

وتحرير هذا الوجدان، وتخليص الإنفاق في سبيل الله هو من النكت الدقيقة المستفادة من عدم ذكر الإنفاق في القرآن بلفظ "الكرم أو السخاء أو الجود"، وهي الألفاظ التي أكثر استعمالها العرب في الجاهلية وكان أعظم افتخارهم بها، فماذا يُفهم بهذا الترك؟

يُجيب الشيخ نديم الجسر: "الذي أفهمه، وأرجو أن أكون مصيبا، هو أن هذا الترك لذكر الكرم باسمه قد كان من أجل ذلك التفاخر نفسه، وهو الذي كان يحمل أكثر العرب على الكرم، ثم كان من أجل إعلاء نفس المسلم نحو الخير الأسمى والإخلاص الأصفى، وتحويله عن زَهْوِ التفاخر والتعالي وحب الظهور إلى وجهة أقرب إلى التضامن الاجتماعي، وأدنى إلى الرحمة وأدعى إلى مرضاة الله" (نديم الجسر، 1432)، فحال العرب قبل الإسلام في العطاء كان منكوسا غير سوي، حيث أن أكثر أعمال الكرم وأعظمها وأفخمها بذخا كانت تُبذل لغير الفقراء من باب التفاخر، فإذا جاء دور الفقراء والمساكين كان البذل ضعيفا هزيلا على الغالب، "وهذا ما يعكس الحكمة من الإنفاق في سبيل الله على غايتها العليا، وهي إيجاد التضامن والتراحم والمحبة بين الناس، إلى غاية دنيوية حقيرة وهي حب الظهور والتفاخر بالأموال والتعالي والترف، التي منها يأتي الحسد والتباغض والتناحر بين الفقراء والأغنياء، ومنها تأتي الفرقة والفشل في الأمة" (نديم الجسر، 1432)، ولذلك شدد القرآن على أن يكون الإنفاق في سبيل الله وحده، وذم الذين ينفقون أموالهم "رئاء الناس" ورتب الجزاء على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ 14 لَا

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

يَصْلَيٰهَآ إِلَّا ٱلْاَشْقَي 15 ٱلذِے كَذَّبَ وَتَوَلّيٰۖ 16 وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْاَتْقَي 17 ٱلذِے يُوتِے مَالَهُۥ يَتَزَكّيٰۖ 18 وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزيٰٓ 19 إِلَّا اَ۪بْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ اِ۬لَاعْلَيٰۖ 20 وَلَسَوْفَ يَرْضيٰۖ 21﴾ (الليل: 14 . 21).

الأساس الثاني: ما دمت تنوي الخير فأنت بخير

لا ينبغي أن يقتصر عمل الخير بأولئك الذين يمتلكون عرضا وأموالا فقط، بل كل إنسان بإمكانه أن يفعل الخير، ولو بالنية، وفائدة هذا الأمر هو تهيئة أجواء نفسية لتقدير الخير وأهله والتفكير فيه، والإبقاء على أهبة الاستعداد للانخراط في أي عمل يروم الخير كلما سنحت فرصة، لأن فضيلة محادثة النفس وتربيتها على الإنفاق وأعمال البر مقدمة ضرورية، وشرط لازم ودافع قوي لمباشرة الإحسان والتبرع بالأموال، كما هو الشأن بالنسبة للأنفس، يقول النبيُّ ﷺ: مَن مات ولم يَغْزُ، ولم يُحَدِّثْ نفسَه بالغزو مات على شعبةٍ من النِّفاق، هذا يدل على وجوب الغزو والجهاد، وأنه إذا لم يُجاهد فليُحدِّث نفسه، يقول: لعله يتيسر لي، ينوي في قلبه: إذا تيسر لي جاهدتُ، إذا أمكن لي جاهدتُ، يعني: يكون في قلبه، في باله شيء من هذا المعنى، ما يكون غافلًا، يرجو ما عند الله جلَّ وعلا، وآية سورة التوبة واضحة الدلالة في هذا الباب: ﴿لَّيْسَ عَلَي اَ۬لضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَي اَ۬لْمَرْضيٰ وَلَا عَلَي اَ۬لذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ اِذَا نَصَحُواْ لِلهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَي اَ۬لْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۖ وَاللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞۖ 92 وَلَا عَلَي اَ۬لذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ اَ۬لدَّمْعِ حَزَناً اَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَۖ 93﴾ (التوبة: 92 . 93). فما دمت تنوي الخير فأنت بخير.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

الأساس الثالث: الصدقة صدق وبرهان

يرى القاضي أبو بكر ابن العربي أن الزكاة سميت صدقة، لأنها تدل على الصدق في مساواة الفعل للاعتقاد والقول (ابن العربي، 1971)، فمن يزكي ماله يبرهن على أنه انتصر في الجهد الداخلي المبذول لمكافحة نوازع الشح، التي ركبت في الإنسان، كما وصفه القرآن في الكثير من الآيات الواضحة الدلالة، الظاهرة المعنى أصالة، منها:

- قول الباري سبحان: ﴿وَأُحْضِرَتِ اِ۬لَانفُسُ اُ۬لشُّحَّۖ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراۖ﴾ (النساء: 127).
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ اِ۬لْخَيْرِ لَشَدِيدٌۖ﴾ (العاديات: 8).
- قوله أيضا: ﴿إِنَّ اَ۬لِانسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً 19 اِذَا مَسَّهُ اُ۬لشَّرُّ جَزُوعاۖ 20 وَإِذَا مَسَّهُ اُ۬لْخَيْرُ مَنُوعاً 21 اِلَّا اَ۬لْمُصَلِّينَ 22﴾ (المعارج: 19 . 22).

إذن الصدقة برهان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، برهان على تقدير الله عز وجل حق قدره، وتعظيم أمره ونهيه، لأن تعظيم النص الشرعي من أولى المقاصد الشرعية، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٖ وَلَا مُومِنَةٍ اِذَا قَضَي اَ۬للَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْراً اَن تَكُونَ لَهُمُ اُ۬لْخِيَرَةُ مِنَ اَمْرِهِمْۖ وَمَنْ يَّعْصِ اِ۬للَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَد ضَّلَّ ضَلَٰلاٗ مُّبِيناٗۖ 36﴾ (الأحزاب: 36) ، هذا مقتضى عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي هذا إشارة للدكتور محمد الحبيب التجكاني: "...وذلك لفائدة العقيدة التي تنادي بتغليب مقتضى الأمر الإلهي على كل نوازع النفس" (التجكاني: 1319).

الأساس الرابع: انفتاح الحدود النفسية بإرادة الخير والسعادة للناس جميعا

يتمثل انفتاح الحدود النفسية في أسس الحضارة الإسلامية بأن رسالة هذه الحضارة ليست حكرا على قوم، ولا خاصة بأمة، ولا منحصرة في زمن، لذلك فهي تقاوم كل ضيق نفسي ينبع من منابع الأنانية، التي تتحكم بنفوس كثير

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

من الناس، "فتقف بهم عند حدود قبائلهم، أو شعوبهم أو أقوامهم أو أممهم، وتوجه أسهم ومبادئهم وأعمالهم لما يخدم مواقعهم الضيقة، ويعالج مشكلاتها"(حبنكة، 2014) ومن مظاهر هذا الانفتاح النفسي إرادة الخير والسعادة للناس جميعا، وأساسه عالمية الرسالة المحمدية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ 13﴾(الحجرات:13)، ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ 106﴾ (الحجرات: 13)، يقول حسن أيوب صاحب كتاب السلوك الاجتماعي في الإسلام معلقا على هاتين الآيتين وأمثالهما: "وهنا يجب أن ندرك أن كلمة "العالم" وكلمة "الناس" في الآيات السابقة يُراد منهما من كان مؤمنا ومن كان كافرا، وسواء أكان الكافر مسالما أم محاربا، فكل تشمله الرحمة العامة الموجودة في التشريع الإسلامي" (أيوب، 2011) فلا نضيق الدلالات ونقزم الفهم لهذه المسألة فنقدم ونَعرض للعالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه، الدين والعقيدة والأخلاق، ونمنعهم المال والندى والإنفاق، ونعمل على نجاتهم في الآخرة، ونتركهم ومعاناتهم في الدنيا، بل ينبغي تيسير دنياهم وإسعاد أخراهم، فتتقوى مشاعر الأخوة الإنسانية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن للإنفاق في سبيل الله عز وجل تأثيرا قويا في حل الكثير من العقد النفسية الصادة عن تحسين علاقة العبد بالخالق والخلق، فمعظم الناس يأسرهم الإحسان المادي أكثر مما تؤثر فيهم الأساليب البيانية الرفيعة، فكم من عطاء أبلغ من بيان، وكم من إحسان أعظم أثرا من برهان، فالتعامل مع الناس ومخالطتهم فرصة لغرس الرحمة في النفوس، "وإشعار الناس عن طريق الكلمة الطيبة والمساعدات الكريمة بجمال الإسلام وأثره حتى يحبوه ويأخذوا به أنفسهم عن اقتناع عقلي وشعور وجداني بأن الإسلام لا بديل له ولا مثيل" (أيوب، 2011)، ولعل اللبيب يجد ما أشرت إليه في قوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَنُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ (البقرة: 270) ، حيث أَطلَق لفظَ (الفقراء)، ولم يَقُل: (فقراءكم)، فدلَّ ذلك على أنَّ الصَّدقة تُستَحَبُّ على كلِّ فقير- وإن كان كافرًا- فكما وسَعتْ رحمته الكافرَ فلم يَحرِمه لكُفْره من الرِّزق بسعيه، كذلك لم يُحرِّم عليه الصَّدقةَ عند عجزه عن الكسْب الذي يكفيه.

الأساس الخامس: إعمال قواعد التمييز بين الوسائل والمقاصد

يُلاحظ بعض المتتبعين لمسيرة المشاريع الخيرية، وسيرة القائمين عليها والمستفيدين منها، سواء ما يقوم به أفراد، أو ما تقوم به مؤسسات حكومية أو غير حكومية استصحاب بعض المظاهر السلبية، أذكر على المثال لا الحصر الاتكالية والكسل الناتج عن اعتياد تلقي المساعدات دون عمل، وقد يكون لهذا أثر وخيم على الفرد والمجتمع، إذ من شأن ذلك أن يقتل روح العمل ويعود المرء الاستئثار، يحب الأخذ، ويكره العطاء، وهذه الظاهرة ما لم تعالج بالتوعية والتكوين والتربية فستفضي إلى بناء أمة من الكسالى والمتعيشين على الصدقات ومشاريع الإغاثة، وبالتالي غاب المقصد، وضاع الهدف، وبقي التمسك بالوسيلة وتقديس طقوسها، وفي ما يلي إشارات إلى محاولتين لمناقشة هذه الأزمة:

- المحاولة 1: لحمير الحوري في مقال له تحت عنوان: «العمل الخيري المعاصر: اجتثاث للفقر أم تكريس له» (مجلة البيان، 2018)، حصر مظاهر الأزمة في ثلاث: غياب مشاريع الإغناء، ومشاريع تعالج النتيجة لا السبب ثم التوازن الغائب، وأرجع أسباب ذلك إلى: الداعمون عندما يشترطون مجال صرف التبرع وطريقته، ثم المؤسسات الخيرية لما أصبح معظمها "مقاولا منفذا"، إضافة إلى عدم التعاون والتنسيق فيما بينها في حالة تعددها، وثالث الأسباب مرده الخطاب الخيري القائم والذي يفتقر إلى التنشيط والتوسيع، فبقدر ارتباطه بالأصل يتوجب انفتاحه على العصر، وبعد هذا اقترح أفكارا للخروج من الأزمة، وملخصها هو اعتماد رؤية إصلاحية تتجاوز العطاء المالي المحض في جميع المجالات، وقد ذكر منها: كفالة الأرامل، وتوزيع الزكوات، ومشاريع الإغناء.
- المحاول2: لقطب الريسوني تحت عنوان: «قواعد الوسائل وتطبيقاتها المعاصرة في العمل الخيري» (قطب الريسوني،2011)، ذكر خمس قواعد، وفرع عليها مسائل ذات الصلة بالعمل الخيري مبينا أثرها فيه، فقد

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

عُنِي هذا البحث باستجلاء أثر قواعد الوسائل في تنمية العمل الخيري، واحتواء مستجداته، وأكتفي بذكر القواعد الخمس فقط، ويبقى لكم العودة للتفصيل في المقال.

القاعدة الأولى: الوسائل لها أحكام المقاصد.

القاعدة الثانية: يُغتفر في الوسائل ما لا يُغتفر في المقاصد.

القاعدة الثالثة: ما حرم سدا للذريعة أُبيح للمصلحة الراجحة.

القاعدة الرابعة: المقصد إذا كان له وسيلتان يُخير بينهما.

القاعدة الخامسة: الوسيلة إذا لم تفض إلى المقصود سقط اعتبارها.

الأساس السادس: عمل الخير يعزز السعادة النفسية والطمأنينة الاجتماعية

السعادة الإنسانية هي ذلكم الشعور المستمر بخيرية الحياة وخيرية المصير، ولا يتحقق هذا الأخير إلا إذا تأسس على خيرية النيات وخيرية الأعمال، يعني أن السعادة صناعة ذاتية، تتم بداخل الإنسان وتفيض على من حوله –طبعا من كان عنده استعداد– ومما يؤكد عليه القرآن أنَّ الإنفاق يكون سببًا لشَرْح الصَّدر، وطرْد الهمِّ، والغمِّ؛ فكثيرا ما يذيل آيات الحث على الإنفاق وأعمال البر والإحسان بقوله تعالى: (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)؛ وهذا أمْر مُجرَّب مُشاهَد أنَّ الإنسان إذا أَنْفق يبتغي بها وجهَ الله انشرَح صدرُه، وسُرَّتْ نفْسُه، واطمأنَّ قلبه، ويعزز ذلك قول الله عز وجل الصريح الواضح: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٖ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٖ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: 271).

ومما يعزز الطمأنينة الاجتماعية ويدعم التلاحم الأهلي، هو عمل الخير، "حيث إن روح التطوع والعطاء المجاني حين تصبح سمة ظاهرة في المجتمع، فإنها تخفف من حدة الشعور بالمنافسة، وحدة الشعور بارتهان الناس للمصالح والمنافع الشخصية، والذي كثيرا ما يدفع إلى الكذب والخديعة والقطيعة" (بكار، عبد الكريم 2006)، ومن هنا نجد

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

النصوص القرآنية تحث على بذل المعروف، وقضاء الحاجات، ومساعدة ذوي الاحتياجات، والوقوف إلى جانب ذوي الظروف الصعبة، ومنها الآية الجامعة لمكارم الأخلاق ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرُّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة:176) ، وقوله تعالى في سورة الماعون: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ 1 فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ 2 وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ 3﴾ (الماعون: 1 ـ3)، وقوله سنحانه: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ 11 وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ 12 فَكُّ رَقَبَةٍ 13 أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ 14﴾ (البلد:11 ـ 14)، وغيرها كثير. ففي هذه النصوص الثلاثة لا تخفى مضاهاة التطوع والعمل الخيري في ميزان الشرع، باعتباره واجبا على العبد تجاه أخيه الإنسان، للإيمان والعبادات باعتبارهما واجبا على العبد لربه، لأنه في دين الإسلام لا تنفك حقوق الله عن حقوق العباد. كما يتضح أيضا أن لفعل الخير أثر على الصحة النفسية، والعلاقات الاجتماعية، نعم يبدأ الخير بمفهومه الواسع بالفروض الواجبات، ولكن لا يقف عندها، فينطلق في دورات متتالية في مجال الترقي ليضم النفل إلى الفرض صعودا في سلم الاستقامة والمحبوبية (... حتى أحبه)، لأن نصوص القرآن مقرّرة أن العقيدة تدفع إلى العمل، وهذا العمل بدوره يعود بالدعم على العقيدة، فتزداد هذه قوة في دوراتها الجديدة فتتجسم في عمل أفضل وأكمل وأحسن وأوسع، وهو يثمر مع الاعتياد أخلاقا راسخة واستقامة سلوك وصلاح نفوس المفضي إلى صلاح الأحوال والمجتمع.

وأترك الدكتور التجكاني يضرب لنا المثل بالزكاة الواجبة كيف ترتقي وتتوسع إلى الصدقة والتطوع وأعمال الخير "فالعقيدة تدفع نحو تلبية نداء الله للانتصار على نوازع الشح والبخل، والأثرة على المحتاجين، وذلك بإخراج نسبة معينة من المال لصالح التضامن مع الآخرين، وهذا بدوره يزكي النفس ويطهرها، فيزداد إيمانا، وقدرتها على البذل

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

والتضامن، وفي دورة من دورات تبادل التأثير يستطيع المؤمن أن يتجاوز الفرض إلى الالتزام بالنافلة، أعني: صدقة التطوع التي لا حد لها في مساعدة المحتاجين، بناء على أن ما يطلق عليه الفرض أو الواجب ما هو الحد الأدنى، وأن مجال الترقي، بعده، مرغوب فيه، كتطوع، طموحا إلى محبة الله، ونيل رضاه"[4]

الأساس السابع: المجتمع محراب للتعبد

يقول الله عز جل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ 121﴾ (التوبة: 121) ، وفي القرآن الكثير من الآيات المعضدة لمعناها، الدالة على أن أبواب الخير وطرق البر لا حصر لها، وأن دائرة أعمال الخير أوسع من أن يُضيقها إنسان ساء فهمه، وأظلمت نفسه، فالمجتمع محراب واسع للتعبد، "إن الذي أعطاه الله تعالى فقها في الدين، وهداه سبيل الرشاد وطريق النجاة، يدرك أن المجتمع كله –سواء أكان إنسانيا عاما، أم كان مجتمعا إسلاميا خاصا– يعتبر فرصة طيبة، ومجالا واسعا لعبادة الله تعالى والتقرب إليه بخير الأعمال، وأفضلها"(أيوب، 2011).

تحت هذا العنوان كتب الشيخ حسن أيوب معددا جملة من الواجبات الاجتماعية، فذكر فيما ذكر (أيوب، 2011):".. وفيه (أي المجتمع) اليتيم والمسكين، والمحتاج والملهوف، والمريض، والمصاب، والمعسر، والمدين، ومن ناء بالبلاء كاهله، ومن عجز عن نفقة أهله وأولاده، ومن هو في قبضة جبار لا يرحم، ومن طرد من عمله لأنه شريف النفس عزيز، ومن وُجهت إليه التهم زورا، لأنه لم يشارك في خيانة أمته والغدر بها، ومن ألقي في السجن، لأنه قال

[4] – التجكاني، مرجع سابق، ص23.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

كلمة الحق في وجه ظالم، ومن هي أرملة لا عائل لها، ومن مات أبوهم ويُخشى عليهم من الضياع، ومن عجز عن إتمام تعليمه لفقد عائله ... إلى آخر ما في المجتمع من أشجان وأحزان وآلام، فإذا تحسست آلام الناس وأحزانهم، وتعرفت على مشكلاتهم واحتياجاتهم، ثم قمت بدورك في تخفيف الآلام، ولأم الجراح، وإذابة الأحزان وإطعام الجائع، ومساعدة المصاب والمنكوب والمحتاج –ترجو بذلك وجه الله– فإنك تكون في خير عبادة وخير عمل يرضى عنه الله تعالى.

فمن أراد إحياء الإسلام بنجاح فليدخل على الشعب عن طريق محنته، وليحاول أن يمسح شقاءه، ويزيل متاعبه، ويقدم له اللقمة التي تشبعه من جوع، والثوب الذي يكسوه من عري، والاحترام الذي يشعره بأنه إنسان له كرامته وعزته وتقديره.

المبحث الثالث: الضوابط الأخلاقية لفاعل الخير

وجعلتها صنفين: ضوابط أخلاقية إجمالية، وضوابط أخلاقية تفصيلية، وكلاهما لتقويم السلوك الإنساني وتوجيهه نحو المصلحة والنفع الخاص والعام حال ممارسته لأعمال الخير، وبيانها في الآتي:

المطلب الأول: ضوابط أخلاقية إجمالية

أذكر منها ثلاثة:

1– **الأخلاق مقصد التشريع وغاية التربية**

تحتل الأخلاق مكانة سامية في البناء الفردي والاجتماعي، كما تُعتبر قطب رحى التشريع الإسلامي، فهي مقصد المقاصد وغاية الغايات، وجوهر الدعوات والرسالات، يقول ابن عاشور: "لا يكاد ينتظم أمر الاجتماع كمال انتظامه، ولا ترى الأمة عقدها مأمونا من انفصامه، ما لم تكن مكارم الأخلاق غالبة على جمهورها، وسائدة في معظم

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

تصاريفها وأمورها، لأن ملاك مكارم الأخلاق هو تزكية النفس الإنسانية" (ابن عاشور: 2006) ، وبعد أن أسهب القول في التأصيل النقلي والعقلي لهذه الدعوة، وضرب الأمثلة عاد ليؤكد أن "الإسلام جعل الاتصاف بمكارم الأخلاق حقا على الولاة والهداة والرعايا كل فيما يخصه من الأفعال المتعلقة بالإسلام أو بمعاشرة المسلمين، أو بمعاشرة غير المسلمين من الأمم، أو بالصرف في الحيوان المسخر للبشر(ابن عاشور: 2006)، وهذه الوجوه الأربعة لتفاعل الإنسان مع الوجود، فهو الخليفة المأمور بإصلاح الطبيعة والعدل بين الخليقة للإجابة العملية على قول الملائكة الكرام: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ (البقرة: 29). وأما الأستاذ علال الفاسي فقد خلُص إلى أن "مكارم الأخلاق مقياس كل مصلحة عامة وأساس كل مقصد من مقاصد الإسلام"(علال الفاسي، 2013).

2- الإنسان كائن أخلاقي بامتياز

الإنسان في جوهره كائن أخلاقي، بالمعنى القرآني للأخلاق(التجكاني، 1990)، ويكفي لتحديد هذا المفهوم قرآنيا أن الله عز وجل أثنى على نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله:(وإنك لعلى خلق عظيم)، ثم شرحت أمنا عائشة رضي الله عنها ذلك بقولها: «كان خلقه القرآن»، وترجع هذه الأخلاقية إلى الزمن الذي عهد الله فيه للإنسان بالخلافة، قبل أن يخلق الناس كأفراد، كما ترجع إلى ميلاد الإنسان، وقبل أن يتلقى تأثير المجتمع، كما هو مبيَّن في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة»، إذن فالانحراف العقدي والأخلاقي السلوكي طارئ من فعل المحيط الفاسد.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي أن في الإنسان أربع قُوى لا يستقيم حاله ويرتاح ضميره إلا باعتدالها، وهذه القوى (القوات) هي: العلم والغضب والشهوة والعدل، واعتدالها إنما يكون بالتحلي بأخلاق أربعة، هي أم الأخلاق وأصولها: الحكمة الضابطة للعلم، والشجاعة الحاكمة للغضب، العفة الضابطة للشهوة، والعدل ليس له طرف زيادة أو نقصان، فليس بعد العدل إلا الجور (الغزالي: . المهدلي: 1996)[5]، ونستفيد من ذُكر أن أصول الأخلاق مغروسة في الإنسان ما عليه إلا العمل على اعتدالها واستقامتها والحرص على جمالها ونضارتها.

وقد دافع الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن بأسلوبه الحجاجي المتفرد على أخلاقية الإنسان، عندما استشكل القضية بطرحه لسؤال: أيهما أخص بالإنسان: العقلانية أو الأخلاقية؟ (طه عبد الرحمن، 2000) نحن نؤمن أن الإنسان كائن عاقل، وأيضا كائن أخلاقي وليس في ذا اشكال، ولكن الدكتور طه عبد الرحمن يدافع هنا ويرافع على أن الأخلاق أخص بالإنسان من العقل، نحاول فيما يلي اقتطاف بعض استدلالاته على دعواه.

سبق أن أشرنا إلى ما يصيب الإنسان من أذى كبير جراء ما يستحدثه هو بعقله، يعني أن الإنسان ضحية ما يصنع، واستشهدنا بكلام لطه عبد الرحمن، ولما تَعْرِض هذا الواقع على أنصار العقلانية يجيبونك أن ميزة العقل الإنساني أنه لا يملك اليقين بنفع لا ضرر فيه، ولا بصواب لا خطأ معه، وإليك تعليق دكتورنا: "والحال أن هذا لا يصدق إلا على القوة العقلية من قوى الإنسان التي هي من جنس قوة الإدراك التي تتمتع بها البهيمة"(طه عبد الرحمن، 2000)، إلى أن يقول: وكذلك الإنسان في ممارسته لعقله على مقتضى التصور المذكور، بل ما المانع من أن نسمي القوة الإدراكية الخاصة بالبهائم هي الأخرى عقلا"(طه عبد الرحمن، 2000)، والنتيجة إذن: "إذا بطل أن تكون العقلانية هي الحد الفاصل بين الإنسانية والبهيمية، وجب أن يوجد هذا الحد الفاصل في شيء لا ينقلب بالضرر على الإنسان من

[5] – انظر: الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الجزء الثالث، ص52 وما بعدها. بتصرف. وانظر أيضا: المهدلي، محمد عقيل بن علي، الأخلاق عند الصوفية، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1996م. ص21 وما بعدها.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

حيث أراد الصلاح في الحال والفلاح في المآل، ولا يقع الشك في نفعه متى تقرر الأخذ به، ولا في حصول الضرر متى تقرر تركه، وليس هذا الشيء إلا مبدأ طلب الصلاح نفسه، وهو الذي نسميه باسم «الأخلاقية»"(طه عبد الرحمن، 2000)، فالأخلاقية هي التي تجعل أفق الإنسان مستقلا عن أفق البهيمة، وهي الأصل الذي تتفرع عنه كل صفات الإنسان من حيث هو كذلك، والعقلانية التي تستحق أن تُنسب إليه ينبغي أن تكون تابعة لهذا الأصل الأخلاقي. وقبل الانتقال إلى المطلب الموالي أشير إلى مسلمتي النظرية الأخلاقية الإسلامية في نظر دكتورنا طه، وهما: الأولى: لا إنسان بغير أخلاق، والثانية: لا أخلاق بغير دين (طه عبد الرحمن، 2000)، فإن سَلِمت الأولى من شديد الاعتراض، فإن على الثانية علامات استفهام كثيرة، ليس هنا مجال بسطها.

3- الدين رسالة أخلاقية بالأساس

إذا أردنا القسمة العقلية المنطقية للعلاقة بين الدين والأخلاق ألفيناها أربعة: تبعية الأخلاق للدين، أو تبعية الدين للأخلاق، أو استقلال كل منها عن الآخر، أو الدين هو الأخلاق، وهو ما يسميه المناطقة بعلاقات الاشتمال (التضمن) والانفصال والتقاطع والانطباق، وقد لا يفيدنا كثيرا تحرير المسألة بهذا الشكل، لذلك سأنحو منحى آخر يناسب ما نحن بصدده، فأقول:

- من غايات رسالة الإسلام تكميل الأخلاق، وصقلها وتشذيبها مما علِق بها من انحرافات تصورية أفرزت انحرافات سلوكية، والحديث في هذا الباب صحيح مشهور متداول (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).
- النموذج العملي والقدوة الكاملة في مجال الأخلاق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، بموجب قوله الله عز وجل: (وإنك لعلى خلق عظيم) وقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة).
- المصدر الأول للأخلاق الإسلامية هو القرآن لحديث عائشة لما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فأجابت: (كان خلقه القرآن).

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

- اصطباغ الأخلاق الإسلامية بمعنى العبادة، التي هي الأمر الذي تجب الاستجابة له والتعامل معه بكل صدق وإخلاص، فالالتزام بها قربة والإخلال بها معصية ، وهذا من شأنه أن يضفي على الأخلاق سمات الثبات والرسوخ، في هذا يقول الدكتور بن حمزة: "إن انبثاق الأخلاق عن التصور الإيماني هو الذي جعلها أخلاقا قارة ثابتة راسخة غير متأثرة بحالات القوة أو الضعف، أو بأمزجة الناس عموما"(مصطفى بن حمزة، 2019).
- الأخلاق الحميدة من أهم مقاصد العبادات كلها، بل هي دعامة لها وشرط قبولها، في الصلاة: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفي الصيام: (لعلكم تتقون) وحديث: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) وحديث المفلس الشهير، وفي الحج: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، وفي الزكاة: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وغير ذلك كثير.
- كثافة النصوص التي تؤسس وتؤصل للأخلاق، باعتبارها مقوما ومكونا من مكونات الدين الإسلامي، إذ هو عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق، ويكفي تأمل وصايا لقمان لابنه، أو تدبر الآية الجامعة لمعاني البر في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن ...الآية)

هذا ويبقى الإسلام مشروعا كبيرا متميزا وقادرا على غرس الأخلاق في السلوك الفردي والجماعي، فلذلك يكون كل دعم وتقوية لوجود الإسلام في حياة الناس في النهاية أسلوبا عمليا لتخليق الحياة الاجتماعية، "إن أي محاولة للفصل بين أثر الدين وحضور الأخلاق ليست إلا محاولة بئيسة أفرزت كل السلبيات المزمنة التي تعاني منها المجتمعات" (ابن حمزة، 2019)، فالأخلاق الإسلامية مظهر لإيمان وقر في القلب.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

المطلب الثاني: ضوابط أخلاقية تفصيلية

كما أسلفت فالإنسان كائن أخلاقي بامتياز يعني أن سلوكه محكوم بالأخلاق، ولكل مجال يتحرك فيه أخلاق تؤطره، وفي العمل الخيري يتأكد التحلي بما يلي:

الإحسان: بمعانيه القرآنية الثلاثة، إحسان العبادة وإحسان العمل والإحسان إلى الناس، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ 194﴾ (البقرة: 194)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبِيٰ وَيَنْهِيٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ 90﴾ (النحل: 90) ، وغيرهما في القرآن كثير، فهو خلق عام لجميع الأعمال كتبه الله عز وجل على شيْ كما هو في الحديث الصحيح، شامل لجميع المخلوقات: بشر، حيوان، بيئة. فهو يتطلب إخلاص في العبادة وإتقان في العمل والصنعة، وإيثار في المعاملة مع الناس، وهذا كله متلازم متكامل متوازن في شخصية فاعل الخير من المسلمين.

الرحمة: ذكر الله في القرآن الكريم الرحمة وأمر بالتواصي بها مرات عدة، منها: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ 17﴾ (البلد: 17)، ووصف الله تعالى نفسه بالرحمة فيما يزيد عن مائتي آية، منها: ﴿اِلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ 1﴾ (الرحمن: 1)، وفي ذلك دليل وتوجيه واضح إلى ضرورة تحقق فاعل الخير بخلق الرحمة.

العدل: العدل في توزيع التبرعات باعتبارها حقوق للمحتاجين، من طرف وسطاء هذا العمل، سواء أفراد أو جمعيات، يقتضي اعتماد معايير دقيقة من شأنها أن تُسهم في وضع الأمور في نصابها في إطار المصلحة العامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبِيٰ وَيَنْهِيٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ 90﴾ (النحل: 90)، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَيٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

اْلْوَٰلِدَيْنِ وَالَاقْرَبِينَۚ إِنْ يَّكُنْ غَنِيّاً اَوْ فَقِيراࣰ فَاللَّهُ أَوْلَيٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ اُلْهَوِيٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اَللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراࣰۖ 134﴾ (النساء: 134).

التوكل على الله: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَي اَللَّهِ فَإِنَّ اَللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم0﴾ (الأنفال: 50)، وقال عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَي اَلْحَيِّ اِلذِے لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ (الفرقان: 58)، إن عملا من هذا الحجم لهذه الأغراض الإنسانية النبيلة يتطلب استعانة بالله وتوكلا عليه.

التواضع والاحتساب: يقول الباري تعالى: ﴿وَالذِينَ يُوتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ اَنَّهُمْ إِلَيٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ 61﴾ (المؤمنون: 61)، وأيضا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اِللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءࣰ وَلَا شُكُوراًۖ 9﴾(الإنسان: 9).

التعاون: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَي اَلْبِرِّ وَالتَّقْوِيٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَي اَلِاثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَاتَّقُواْ اُللَّهَ إِنَّ اَللَّهَ شَدِيدُ اُلْعِقَابِ﴾ (المائدة:3)، فتوحيد جهود فاعلي الخير يرفع من مردودية وفعالية هذا العمل، ويضمن استمراريته ونظامه.

هذه نماذج لأخلاق قرآنية موجهة لفاعل الخير، ويمكن أن نضيف احترام القانون، وتقبل المساءلة لتبرئة الذمة، والاكتساب لتوفير اللقمة، التورع عن مواطن الريبة وغيرها.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

خلاصات واستنتاجات

هذه خلاصات خمس وتوجيهات لتسديد العمل الخيري، وتحقيق الغاية منه:

- إن النهوض بالعمل الخيري وتوسيع دائرة الاستفادة منها يتطلب بالأساس الاهتمام بالجانب النفسي والجانب لخلقي للإنسان، قبل الجوانب الأخرى ذات الصلة: الجانب الفقهي والتقني والتنظيمي ...
- كرامة الإنسان فوق كل اعتبار، فلا ينبغي السماح في امتهانها وتجاوز بأي حال، وضامن ذلك مراعاة الأسس النفسية والخلقية.
- إن أي محاولة للفصل بين أثر الدين وحضور الأخلاق ليست إلا محاولة بئيسة أفرزت كل السلبيات المزمنة التي تعاني منها المجتمعات"، فالأخلاق الإسلامية مظهر لإيمان وقر في القلب.
- يسبق ويصاحب ويعقب العطاءَ المادي المجرد التوعيةُ والتعليم والتكوين والتربية المبنية على تلكم الأسس النفسية والضوابط الأخلاقية لمعالجة الظواهر السيئة والمسيئة الحافة بالعمل الخيري.
- يتوجب على العاملين في القطاع الخيري، أفرادا أو مؤسسات عدم الاقتصار على دور "ساعي البريد" أي جمع تبرعات وتوزيعها، بل يتعين العمل على امتلاك القدرة للتحول من الإغاثية إلى التنمية.
- توصيات البحث:
- وختاما، أوصي بما يلي:
- 1- مواصلة البحث والدراسة لمختلف المواضيع ذات الصلة بالعمل الخيري، تأصيلا وتفعيلا وتشغيلا.
- 2- توظيف المتاح من العلوم والمعارف في إطار من التكامل لتحقيق فتوحات علمية، وابتكار آليات تنزيل عملية.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

- 3- لا ينبغي إغفال ما في القرآن الكريم من الآيات الكثيرة الصريحة الدلالة على معاني إنسانية واجتماعية عظيمة، من شان استخراجها ونظمها أن يلبي الحاجة الماسة إلى مشاريع خيرية فعالة.
- 4- ضرورة استحضار المقاصد النافعة، وضبط علاقاتها بالوسائل الناجعة، تحقيقا للجدوى والمعنى.
- 5- إقران الاجتهاد في بلورة أطاريح نظرية متينة بالتفكير والجهاد في فتح مسالك إلى ميدان التطبيق ومراعاة شروط التنزيل.

أهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم

1- الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة.

2- أمين، أحمد، كتاب الأخلاق، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2007م، بيروت.

3- بن حمزة، مصطفى، مقاربات في المسألة الأخلاقية، دار الأمان، الرباط، 2019م.

4- دراز، محمد عبد الله، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 2014م.

5- الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السابعة، 2016م.

6- الصوفي، ماهر أحمد، الموسوعة الكونية الكبرى، عنوانه: آيات الله في خلق الإنسان وبعثه وحسابه، تقديم: محمد سعيد رمضان البوطي وآخرون، الطبعة الأولى 2007م، بيروت.

7- حبنكة، عبد الرحمن حسن، الميداني، الحضارة الإسلامية، دار القلم، دمشق، طبعة2، 2014م.

8- بوهبوه مصطفى، العمل التطوعي من منظور إسلامي، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، الطبعة الأولى: 2022م.

9- وثيقة لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، (رؤية 2030) تحت عنوان: الميثاق الأخلاقي للعاملين في القطاع غير الربحي، مبادئ وسلوكيات، 2018م، الموقع الالكتروني: www.mlsd.gov.sa

10- السرجاني، راغب، رحماء بينهم، قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الإسلامية، دار التقوى، القاهرة، الطبعة الأولى، 2020م.

11- سعاد جبر سعيد، علم النفس المقارن، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 2008م.

E-ISSN: 2289-9065 | www.jistsr.misd.tech

12- نديم الجسر، القرآن في التربية الإسلامية، هدية مجلة الأزهر لشهر رجب 1432هـ.
13- ابن العربي، أبو بكر، أحكام القرآن.
14- التجكاني، محمد الحبيب، الزكاة وتطبيقاتها المغربية حتى عام 1319هـ، مع اجتهادات ومقترحات للتطبيق المعاصر، منشورات عكاظ.
15- أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، الطبعة الخامسة، 2011م.
16- مجلة البيان، العدد 378، سنة 2018م.
17- مجلة الوعي الإسلامي.
18- أبحاث اجتهادية في نوازل عصرية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2011م.
19- بكار، عبد الكريم، الطمأنينة الاجتماعية، مجلة البيان، العدد 228، سبتمبر 2006م.
20- ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون ودار السلام، الطبعة الثانية، 2006م.
21- الفاسي، علال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دراسة وتحقيق إسماعيل الحسني، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، 2013م.
22- المهدلي، محمد عقيل بن علي، الأخلاق عند الصوفية، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1996م.
23- عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2000م.